اللـه الخالـق

قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ ﴾ (٢) .

فنحن فى هذه الدنيا فى دار ابتلاء ، نخرج منها إلى دار الخلود ، فإما محسن فيكون مآله الجنة خالداً فيها ، وإما مُسيء – والعياذ بالله – فمآله إلى النار خالداً فيها .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ

---

(١) سورة الملك الآية (٢) .
(٢) سورة هود الآية (٧) .

﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (١)

فالله خلق الجن والإنس لعبادته وحده وسخّر لهم السماوات والأرض ومن فيهن ليعينهم على العبادة ، وتكفل برزقهم ورزق من خُلق من أجلهم ، إلا أن الأمر اختلط على كثير من الناس وظنوا أنهم خُلقوا من أجل السعي على الرزق فقط ، فكان همهم الدنيا ونسوا أنهم خُلقوا للآخرة .

فعبادة الله مقدمة على السعي على الرزق ، صحيح أن السعي على الرزق عبادة بعد عبادة الله ، إلا أن عبادة الله مقدمة على السعي على الرزق .

قال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا

---

(١) سورة الذاريات الآيات ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (٢)

إن المسلمين فى عصرنا الحالى فى أشدّ الحاجة إلى تصحيح العقيدة بعدما دخل عليها كثير من المعتقدات الفاسدة نتيجة لاختلاطهم بشعوب غير مسلمة، بالإضافة إلى : عدم الاهتمام بتعلم علوم الدين كما يجب ، والاهتمام بعلوم الدنيا أكثر لإنبهارهم بالتقدم العلمى للشعوب الملحدة وهى فتنة .

واعتقدوا أن علوم الدنيا وحدها هى سبيل التقدم ، فإنْ

---

(١) سورة النور الآيات « ٣٧ ، ٣٨ » .
(٢) سورة الجمعة الآيات « ١٠ ، ١١ » .

صدق هذا الاعتقاد على الآخرين فلا يصدق على المسلمين ، لأن في أيديهم كتابٌ مَنْ عمل به فاز بخيري الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً (١٣٤) ﴾ (١)

وجرى المسلمون وراء هذا الاعتقاد وأخذوا من الآخرين كل شيء دون أن يردوه إلى كتاب الله والسُّنة ، فأصبح المسلم بعيداً عن دينه ، بعيداً عن ربه ، يقيم الشعائر معتقداً أنه بإقامتها أصبح مسلماً .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي

---

(١) سورة النساء الآية « ١٣٤ » .

الرِّقَاب وأقام الصَّلاة وآتى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [1] .

ناهيك عن الذين لا يقيمون الشعائر ويعتقدون أنهم مسلمون ، فمن ترك واحدة منها خرج من الملّة .

أركان الإسلام :

١ - شهادة أن لا إله إلا الله .

٢ - إقام الصلاة .

٣ - صوم رمضان .

٤ - إيتاء الزكاة .

٥ - حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً .

الإيمان :

أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧ .

obeikandl.com

والقدر خيره وشره .

الإحسان :

أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وهي درجة المراقبة وهي أعلى درجات الإيمان .

قال تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (١) .

فالإسلام هو إقامة الشعائر ، أما الإيمان فهو الإنقياد والطاعة والعمل بشرع الله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ

---

(١) سورة الحجرات الآية « ١٤ » .

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [1]، أما المنافق فلا ينقاد إلى شرع الله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [2]، فالكفر ضد الإيمان ، وهو جحود وعناد واستكبار على أوامر الله ورسوله .

وهناك كفران :

أ - كفر أكبر وهو يخرج من الملّة ، وهو الكفر الاعتقادى .

ب - كفر أصغر ينافى كمال الإيمان ، ولكن الاعتقاد سليم .

---

(١) سورة النور الآية « ٥١ » .
(٢) سورة النور الآية « ٤٨ » .

obeikandl.com

● **الكفر الأكبر :**

الإيمان قول وعمل [1] ، قول القلب : أى اعتقادة ، وقول اللسان .

فقول القلب هو التصديق ، وقول اللسان هو النطق بالشهادتين ، وعمل القلب هو النية والإخلاص ، وعمل الجوارح هو الانقياد لهذه النية بفعل الطاعات ، فإذا زالت جميعها زال الإيمان .

● **الكفر الأصغر :**

هى كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء الإيمان ، كقول الرسول ﷺ : « **لا ترجعوا بعدى**

---

(١) الإيمان عند أهل السُّنة : « اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان » ، وخالف أبو حنيفة فقال : الإيمان الاعتقاد ، والنطق العمل من لوازم الإيمان ولا يدخل فى مسماه ، وذهب فريق إلى أن الإيمان : مجرد التصديق فقط ولو لم يكن معه قول ولا عمل . وهذا مذهب الجهمية والأشعرية ، وذهبت الكرامية إلى أن الإيمان هو القول فقط .
ارجع إلى : شرح الطحاوية « ص ٣٧٣ » ، والملل والنحل للشهرستانى « ١٤٠/١ » .

كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾[2] .

فأثبت الله لهم الإيمان .

ويكفر العبد بالمعاصى إذا استحلها وجاهر بها ، فهو تكذيب بالكتاب ، ويكفر إن استحلها وإن لم يفعلها ، وأما فعلها فى غفلة وهو يعتقد حرمتها فهذا نقص فى الإيمان .

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخارى « ٧٠٨٠ » ، ومسلم « ٦٥ » ، ومن ذلك قوله ﷺ : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » ، والحديث عند البخارى « ٤٨ » وقوله ﷺ : « أيما رجل مسلم أكفر رجلاً مسلماً ، فإن كان كافراً وإلا كان هو الكافر » ، أخرجه أبو داود « ٤٦٨٧ » ، واللفظ له ، وأحمد « ٢٣/٢ » وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود « ٣٩٢١ » .

(٢) سورة الحجرات الآية « ٩ » .

• أقسام الكفر الاعتقادى :

١ – كفر جهل وتكذيب .

٢ – كفر عناد واستكبار .

٣ – كفر جحود .

٤ – كفر نفاق .

١ – كفر الجهل والتكذيب : قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [1] .

٢ – كفر الجحود : هو كتمان الحق وعدم الانقياد له ظاهراً ومعرفته باطناً ، ككفر فرعون وقومه ، قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [2] .

---

(١) سورة غافر الآية « ٧٠ » .

(٢) سورة النمل الآية « ١٤ » .

obeikandl.com

٣ - كفر العناد والاستكبار: هو عدم الانقياد للحق مع الإقرار به ،ككفر إبليس ، قال تعالى: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[1] ، فهو اعتراض على حكم الله له بالسجود لآدم ، فقال : ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾[2] ، استكباراً على أمر الله وكل من فعل ذلك فهو على شاكلته .

٤ - كفر النفاق : هو عدم تصديق القلب والانقياد بالعمل ظاهراً رئاء الناس كابن سلول وحزبه إذ قال الله تعالى فيهم ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[3] وهؤلاء فى الدرك الأسفل من النار لأنهم أشد ضرراً على الدين من الكافر الذى يجاهر بكفره ، فعمله لا يكون حجة على الدين بعكس المنافق .

---

(١) سورة البقرة الآية « ٣٤ » .
(٢) سورة الإسراء الآية « ٦١ » .
(٣) سورة البقرة الآية « ١٠ » .

● **الكفر الأصغر :**

الذى يُنقص الإيمان ولا يُخرج من الملة وينقسم إلى :

١ – ظلم . ٢ – فسوق . ٣ – نفاق .

وكل منهم ينقسم إلى أكبر وأصغر :

* الظلم الأكبر : ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) ﴾ (١) .

* والظلم الأصغر كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (٢) .

* والفسق الأكبر : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ

---

(١) سورة يونس الآية « ١٠٦ » .

(٢) سورة الطلاق الآية « ١ » .

الْفاسِقُــونَ ﴾ [1] .

* والفسق الأصغر : كقوله تعالى : ﴿ وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [2] .

* والنفاق الأكبر كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لا إِلَىٰ هَٰؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَٰؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴿١٤٣﴾ ﴾ [3] .

* والأصغر مثل قوله ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » [4] .

---

(١) سورة التوبة الآية « ٦٧ » .
(٢) سورة النور الآية « ٤ » .
(٣) سورة النساء الآيات « ١٤٢ - ١٤٣ » .
(٤) متفق عليه : أخرجه البخارى « ٣٤ » ومسلم « ٥٨ » .

حكم تارك الصلاة :

من ترك الصلاة إنكاراً لها كفر بإجماع المسلمين ، أما من تركها تكاسلاً مع اعتقاده بفرضيتها بما لا يُعد فى الشرع عذراً فقد صرحت الأحاديث بكفره ، وكذلك إن أخرها عن وقتها بغير عذر شرعى (١) .

(١) جاء فى بداية المجتهد « ١/٢٢٦-٢٢٨ » بتصرف : « وأما الواجب على من تركها عمداً وأمر بها فأبى أن يصليها لا حجوداً لفرضها ، فإن قوماً قالوا : يقتل ، وقوماً قالوا : يعزر ويحبس ، والذين قالوا : يقتل : منهم من أوجب قتله كفراً ، وهو مذهب أحمد وإسحاق وابن المبارك ، ومنهم من أوجبه حداً وهو مالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابه ، وأهل الظاهرة ممن رأى حبسه وتعزيره حتى يصلى ، والسبب فى هذا الاختلاف اختلاف الآثار ، وذلك أنه ثبت عنه ﷺ أنه قال : « لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس » ، وروى عنه ﷺ من حديث بريدة أنه قال : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » ، وحديث جابر عن النبى ﷺ أنه قال : « ليس بين العبد وبين الكفر أو قال : — الشرك — إلا ترك الصلاة » ، فمن فهم من الكفر هاهنا الكفر الحقيقى ، جعل هذا الحديث كأنه تفسير لقوله ﷺ : « كفر بعد إيمان » ، ومن فهم ها هنا التغليظ والتوبيخ أى أن أفعاله أفعال كافر ، وأنه فى صورة كافر كما قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » ، لم ير قتله كفراً ، وأما من قال : يقتل حداً فضعيف ولا مستند له إلا قياس شبه ضعيف إن أمكن ، وهو تشبيه الصلاة بالقتل فى كون الصلاة رأس المأمورات ، والقتل رأس المنهيات » . أ هـ .

قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [1] .

فى تفسير الآية قيل : تأخيرها عن وقتها وليس تركها بالكلية .

أما الأحاديث فقال ﷺ : « بين الرجل والكفر ترك الصلاة » [2] .

وقال ﷺ : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » [3] .

حكم تارك الزكاة :

قال ﷺ : « مانع الزكاة يوم القيامة فى النار » [4] ، إن كان مانعها من لا شوكة له أخذها الإمام قهراً .

---

(١) سورة مريم الآية « ٥٩ » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم ص ١٣٤ » .

(٣) حديث صحيح : أبو داود « ٤٦٧٨ » والترمذى « ٢٦١٨ » وابن ماجة « ١٠٧٨ » والدرامى « ٢٨٠/١ » وأحمد « ٣٧٠/٣ و ٣٨٩ » .

(٤) حديث حسن : ذكره الألبانى فى صحيح الجامع برقم « ٥٨٠٧ » .

وقال ﷺ : « من منعها فإنا آخذوها وشطر ماله »[1]، عقاباً له ، وإن كانوا جماعة ولهم شوكة وجب على الإمام قتالهم كما فعل أبو بكر فى حرب الردة [2] .

حكم من فطر جهراً فى شهر رمضان بدون عذر :

فإن الحاكم يؤدبه حتى يكون زاجراً له ولأمثاله [3] .

وأما الحج فالعمر كله وقت ، والواجب المبادرة بأدائه .

وهناك أشياء إذا فعلها المسلم خرج من الملّة بإجماع العلماء :

١ - إنكار ركن من أركان الإسلام الخمسة ، كما سبق

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : بداية المجتهد « ٦٣/٢ ط مكتبة ابن تيمية القاهرة » .

(٣) انظر : بداية المجتهد « ١٧٩/٢ - ١٨٦ » ففيها تفصيل وبيان .

أو أى شيء معلوم من الدين بالضرورة نزل به القرآن أو أمر به الرسول ﷺ .

٢ – كراهية الإسلام أو شيء من التعاليم فى العبادات والمعاملات ، قال تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ (١) .

٣ – الإستهزاء بشيء من القرآن أو الحديث الصحيح أو بحكم من أحكام الشرع ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (٢) .

٤ – إنكار شيء من القرآن أو الأحاديث الصحيحة مما يوجب الردة إذا تعمد ذلك .

---

(١) سورة محمد ﷺ الآية « ٩ » .
(٢) سورة التوبة الآيات « ٦٥ ، ٦٦ » .

٥ – سبّ الله – عـز وجل – أو لعن الدين ، أو سبّ الرسول ﷺ .

٦ – الحلف بغير الله تعالى إذا أصرَّ ، لقوله ﷺ : « من حلف بغير الله فقد أشرك » [(١)] .

٧ – تعليق التمائم والودع منعاً للحسد ، واعتقاده أنها تنفع أو تمنع شراً ، قال ﷺ : « من علق تميمة فقد أشرك » [(٢)] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾ [(٣)] .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه الترمذى « ١٥٣٩ » ، وأبو داود « ٣٢٥١ » ـ وأحمد «٣٤/٢» وصححه الحاكم « ٢٩٧/٤ » وابن حبان « ١١٢٧ » ، والألبانى فى الإرواء « ٢٥٦١ » ، وكما هو بين من الحديث : جزاء من حلف بغير الله ، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : « لأن أحلف بالله كاذباً أحبُّ إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً » ، وهذه أثر صحيح قال الهيثمى فى المجمع « ١٧٧/٤ » : رواه الطبرانى فى « الكبير » ورجاله رجال الصحيح ، وهو صحيح كما قال الألبانى فى الإرواء «٢٥٦٢» . وارجع إلى : فتح المجيد « ٣٩٣ » ط دار الصميعى .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ١٥٦/٤ » والحاكم « ٢١٩/٤ » .

(٣) سورة يوسف الآية « ١٠٦ » .

٨ – السحر ، فقد عدّه ﷺ من السبع الموبقات [١] ، وإن أتى عرافاً وصدقه ، قال ﷺ : « **من أتى عرافاً لم تقبل صلاته أربعين يوماً ، وإن صدقه فقد كفر بما أنزل على محمد** » [٢] .

الإيمان بالقضاء والقدر خير وشره :

والقدر : هو ما قدره الله – عز وجل – على الإنسان في اللوح المحفوظ ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ

---

(١) من حديث أبي هريرة « أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يارسول الله وماهنّ ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » ، والحديث رواه البخاري « ٢٧٦٦ » ومسلم « ٨٩ » .

(٢) ونص الحديث : « **من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة** » أخرجه مسلم « ٢٢٣٠ » وبلفظ « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » ، رواه أبو داود « ٣٩٠٤ » ، والترمذي « ١٣٥ » وابن ماجة « ٦٣٩ » وهو صحيح .

فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) ﴾ [1] .

وخلق القلم وقال له : اكتب ، فكتب فى اللوح المحفوظ أقدار العباد .

قال ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ، ثم مسح على ظهره بيمينه حتى استخرج من ذريته ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح على ظهره فاستخرج من ذريته وقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » [2] .

وذلك بعمله الأزلى ، عرف أن هؤلاء سيكونون من النار ولن يهتدوا ، وأن الآخرين سيكونون من المهتدين

---

[1] سورة فصلت الآيات « ٩ - ١١ » .

[2] حديث صحيح : رواه أبو داود « ٤٧٠٣ » والترمذى « ٣٠٧٥ » .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (٣٢) ﴾ [1] .

وقال ﷺ : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات ، يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذى لا إله غيره إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » [2] ، وقال الصحابة

---

(١) سورة النجم الآية « ٣٢ » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ٣٢٠٨ » ومسلم « ٢٦٤٣ » .

ففيم العمل يارسول الله إن كان أمر قد فُرغ منه ؟ قال ﷺ : « سددوا وقاربوا ، فكل ميسر لما خلق له » [1] .

والحكمة من ذلك والله أعلم : حتى لا يغتر محسن بعمله فلا يزيد ولا ييأس مذنب من رحمة الله فلا يتوب .

قال ﷺ : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » [2] .

فالذى يندم على شيء غير مصدق بالقضاء والقدر ، وقد قالها المنافقون ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ٦٥٩٦ » ومسلم « ٢٦٤٩ » .
(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٦٦٤ » .

مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) ﴾ (١) .

والحكمة أيضاً من عدم معرفة القدر وهى أن يعلم الله عند الشدائد ، المؤمن من المنافق فتكون حجة عليه .

وأما الحكمة الثالثة لكى يكون المؤمن شجاعاً لا يهاب الموت ، فالأجل مقدر لذا يكون أكثر إقداماً و ثبوتاً على الحق ، أما الكافر فهو جبان لا يحارب إلا من وراء حصون ، قال تعالى ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤) ﴾ (٢) .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٥٤ » .

(٢) سورة الحشر الآية « ١٤ » .

وكذلك التوازن النفسى ، فلا يكون شديد الفرح فى المسرات ولا شديد الحزن فى الملمات لعلمه بأن كل شيء بقدر الله .

قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾ (١) .

قال ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن فإن أمره كله خير ، إن أصابه خيراً صبَر فكان خيراً له ، وإن أصابته سَراء شكر فكان خيراً له » (٢) .

أما الكافر المستكبر على طاعة الله عز وجل تجده يجزع فى الشدائد ويطغى فى المسرات .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ

---

(١) سورة الحديد الآيات « ٢٢ ، ٢٣ » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٩٩٩ » .

الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [2] .

فالإيمان يشكل شخصية المسلم ، فيكون شجاعاً مقداماً مطمئن النفس راضٍ فى كل الأحوال عن حاله وعن ربه .

العلاقة بين قدر الإنسان وعمله :

كما سبق أن بيننا أن قدر الإنسان كُتب فى اللوح المحفوظ قبل أن يولد إلا أن الله عز وجل يعلم من سيكون من المهتدين ، ومن سيكون من الكافرين ، وعلى ذلك كتب قدره فهناك صلة وثيقة بين عمل الإنسان وقدره وإلا

---

(١) سورة المعارج الآيات « ١٩ – ٢٢ » .
(٢) سورة الحج الآية « ١١ » .

كان لا فائدة من العمل وكان الإتكال على القدر .

سأل رجل رسول الله ﷺ عن ناقته أيتركها ويتوكل أم يعقلها ؟ قال ﷺ : « **اعقلها وتوكل** » [1] .

وقال ﷺ لابن عباس : « **يا غلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإن استعنت فاستعن بالله ، وإن استعذت فاستعذ بالله ، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، واعلم أنه لو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » [2] .

فهذا معنى الإتكال على الله ، أن يحرص الإنسان على

---

(١) **حديث حسن** : أخرجه الترمذى « ١٥١٧ » وحسنه الألبانى فى المشكاة برقم « ٢٢ » وصحيح الجامع برقم « ١٠٦٨ » .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذي « ٢٥١٦» وصححه الألبانى ف صحيح الجامع برقم « ٧٨٣٤ » .

ما ينفعه فى الدنيا والآخرة ثم يتوكل على الله ، ثم يرضى بعد ذلك بالنتائج فهى من قدر الله عز وجل ، فإن عمل الإنسان خيراً يضاعفه الله أضعافاً كثيرة ويجد الخير فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [1] ، وإن وجد سيئة فبما كسبت يداه ، ويعفوا ربنا بفضله وكرمه عن الكثير ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [2] .

وقال ﷺ : « **إنى لأحسب الرجل ينسى العلم للخطيئة يعملها** » [3] .

وقال ﷺ : « **إن العبد ليحرم الرزق بالذنب**

---

(١) سورة النحل الآية « ٩٧ » .
(٢) سورة الشورى الآية « ٣٠ » .
(٣) لم أقف عليه .

يصيبه »[1].

وقال ﷺ : « كل بنى آدم خطاءوون وخيرهم التوابون »[2].

لذا قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[3].

أما الحسنات يضاعفها الله بفضله وكرمه أضعافاً كثيرة، بل يبدل الله الحسنات سيئات لمن تاب توبة نصوحاً. قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا

---

(١) حديث حسن : أخرجه ابن ماجة « ٤٠٢٢ » وأحمد « ٢٧٧/٥ » وابن أبى شيبة « ١٥٧/١٢/٢ »، والبيهقى فى السُّنن « ٨٩/١٠ ».

(٢) حديث صحيح: أخرجه الترمذى « ٢٤٩٩ » وابن ماجة « ٤٢٥١ » وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم « ٤٥١٥ » وفى المشكاة برقم « ٢٣٤١ ».

(٣) سورة فاطر الآية « ٤٥ ».

فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ (١) ، فالله برحمته يحاسبنا على القليل من السيئات ، ويغدق علينا الحسنات ، فلو حسبنا ذلك وأضفنا إليه نعم الله التى لا تعد ولا تحصى لوجدنا أنفسنا مدينين لله عز وجل مهما قدمنا من أعمال صالحة وعبادات ، ولو قمنا ليلنا كله وصمنا نهارنا كله ما وفينا ربنا حقه فى الشكر ، فإن نعمة واحدة وهى نعمة البصر رجحت كفتها أمام عمل عابد عبد الله خمسمائة عام ، كما جاء فى حديث الرسول ﷺ .

فنحن فى هذه الدنيا نمشى على الأرض برحمته – عز وجل – وندخل الجنة إن شاء الله برحمته – عز وجل – لا بأعمالنا مهما كثرت .

قال ﷺ : « **لن يدخل أحدكم الجنة بعمله** ، قيل ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله

---

(١) سورة الفرقان الآية « ٧٠ » .

برحمته »[1] .

ولكن للأسف تجد الإنسان يرجع ما يصبه من شر إلى القدر ، وأما الحسنات فيرجعها إلى عمله ، وذلك من الشيطان حتى لا يحاسب نفسه ويستغفر الله ويتوب .

ويسبُّ الدهر ويقول : هذا زمن أغبر ، وهذا يوم أسود ... إلخ ... ، وهو لا يعلم أنه يسب ربه ، قال ﷺ عن رب العزة : « يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدى الأمر ، أقلب الليل والنهار »[2] .

فالله عز وجل لا يظلم أحدا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

قال ﷺ عن رب العزة فى حديث طويل : « **يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ... إلى أن قال : إنما هى أعمالكم أحصيها لكم**

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٨١٧ » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ٦١٨١ » ومسلم « ٢٢٤٦ » .

ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » [1] ، فالخير كل الخير من الله عز وجل ، وأما السيئات فبسبب ما اقترف الإنسان من سيئات ، قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً ﴿٧٩﴾ ﴾ [2] .

ولما عرف الصحابة ذلك كانوا يخشون ربهم ولا يغترون بأعمالهم ، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه المبشر بالجنة ، والذى يزن إيمانه إيمان الأمة ، يقول : لو أن إحدى قدمى فى الجنة لخشيت ألاّ تدخل الأخرى .

وأما عمر رضي الله عنه فكان يقول : لو نودى على أهل الجنة إلا واحد لخفت أن أكون أنا هو ، ولو نودى على أهل النار فدخلوا إلا واحد لرجوت ألاّ أكون أنا هو .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٥٧٧ » .

(٢) سورة النساء الآية « ٧٩ » .

لماذا يهدي الله إنسان ويضل آخر ؟!!

كما سبق أن بينا أن هناك علاقة بين عمل الإنسان وقدره ، وقد أرسل ربنا عز وجل إلينا الرسل والكتب لهداية الناس ، فمنهم من قبلها وعمل بها ، ومنهم من لم يقبلها وكذب بها .

قال تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩) ﴾ (١) ، فمن عمل بما علم علّمه الله وزاده علماً وزاده هدى ، إما عن طريق عالم ، أو عن طريق كتاب ، أو يلهم رشده عن طريق الملك الموكل به .

قال ﷺ : « من عمل بما علم علّمه الله علم ما لم

---

(١) سورة الأنعام الآيات « ٤٨ ، ٤٩ » .

يعلم » [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾ [3] .

وقال ﷺ : « من جاء موعظة من الله فهي نعمة ساقها الله إليه ، فمن قبلها وعمل بها كانت له نوراً ، ومن أعرض عنها إزداد بها إثماً وكانت حجة عليه ولم يزدد بها من الله إلا بعداً » [4] ، فمن أعرض عن الله ، أعرض الله عنه ، ومن

---

(١) عزاه في الدر المنثور إلى الحلية لأبي نعمى « ١٥/١٠ » وقد أورد الخبر أبو نعيم من طريق أحمد بن حنبل عن يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس ، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل .

(٢) سورة محمد ﷺ الآية « ١٧ » .

(٣) سورة مريم الآية « ٧٦ » .

(٤) لم أقف عليه .

أصر على المعاصي طبع الله على قلبه وقيض له شيطاناً فهو له قرين .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) ﴾ (٣) .

فالذين اتبعوا أهواءهم يطبع الله على قلوبهم فلا

---

(١) سورة الزخرف الآيات « ٣٦ ، ٣٧ » .
(٢) سورة الجاثية الآية « ٢٣ » .
(٣) سورة محمد الآية « ١٦ » .

يفقهون علماً ، حتى ولو كانوا فى حضرة الرسول ﷺ ، أما الذين آتاهم الله العلم يفقهوا ويعملوا بما علموا ، أما كيفية الطبع على القلب فيوضحها الرسول ﷺ فى حديثه : « **من أذنب ذنباً نُكت فى قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب واستغفر صُقل قلبه ، وإن زاد وأصر زاد حتى يعلوا قلبه وذلك الران** » [1] ، وتلى ﷺ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [2] .

والذى يطبع الله على قلبه يرى الحق باطل ، والباطل حق ، حتى إذا مات انكشف عنه الغطاء فيرى ما كان عليه من باطل فيندم حيث لا ينفع الندم .

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] .

---

(١) حديث حسن : أخرجه الترمذى « ٣٣٣٤ » وحسنه الألبانى فى الترغيب والترهيب « ٢٩٨/٢ » .

(٢) سورة المطففين الآية « ١٤ » .

(٣) سورة الزخرف الآية « ٣٨ » .

ولنضرب مثلاً يوضح لماذا يضل الله الفاسقين والكافرين :

إذا سألك سائل عن عنوان منزل مثلاً أنت تعرفه فسوف تدل عليه ، فإذا سار فى الطريق الذى وصفته له سوف تزيده دلالة بأن تعطيه علامة كاسم محل يقطن تحته مثلاً ، أما إذا سار فى طريق غير الذى وصفته فسوف تتركه وشأنه فهو لا يريد أن يصدق ما وصفته له .

لماذا يعطى الله الكافرين والظالمين فى الدنيا ، فى حين يحرم بعض الصالحين منها ؟ .

وللإجابة على هذا السؤال :

أولاً : لأن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة كما قال ﷺ : « **لو أن الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما أعطى الكافر منها شربة ماء** » [1] .

ثانياً : حتى يزداد إثماً وطغياناً وغروراً ، قال تعالى :

---

(١) صحيح بشواهده : أخرجه الترمذى « ٢٣٢٠ » والحاكم « ٣٠٦/٤ » والألبانى فى الصحيحة « ٩٤٣ » .

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) ﴾ [1]

فالله يعطيهم فى الدنيا بأعمالهم الصالحة ، أما الآخرة ليس لهم فيها نصيب ، قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [2] ، وهو كذلك إملاء واستدراج ، حتى إذا أخذه أخذ عزيز مقتدر ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣) ﴾ [3] .

وقال ﷺ : « إذا رأيت العبد يعطيه الله وهو مصرٌ على المعصية فاعلم أنه إملاء » [4] .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٧٨ » .

(٢) سورة الشورى الآية « ٢٠ » .

(٣) سورة الأعراف الآيات « ١٨٢ ، ١٨٣ » .

(٤) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ٤/١٤٥ » وهو فى صحيح الجامع رقم « ٥٦١ » والصحيحة برقم « ٤١٣ » بلفظ : « إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه ، فإنما ذلك منه استدراج » .

كما أن الدنيا للكافر ممكن أن تكون عذاباً لهم .

قال تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1] ، كأن يكونوا أبناء عاقين ، وأموالاً يخسروها فيتحسروا عليها ، أما المؤمن فيبتليه الله بالشدائد فى الدنيا ليكفر بها من سيئاته ويرفع بها درجاته ويزداد إيماناً بالصبر والتضرع إلى الله عز وجل .

قال ﷺ : « إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه ، وإن رضى اصطفاه » [2] .

وقال ﷺ : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وماله وولده ، حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة » [3] .

---

(١) سورة التوبة الآية « ٥٥ » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه ابن ماجة « ٤٠٣١ » وقال الألبانى صحيح . انظر : صحيح الجامع «١٧٠٦» والصحيحة « ١٤٦ » بلفظ : « إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن صبر فله الصبر ، ومن جزع فله الجزع »

(٣) حديث صحيح : أخرجه الترمذى « ٢٤٠١ » والحاكم « ٣٤٦/١ » وأحمد «٤٥٠/٢» وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم«٥٨١٥» والصحيحة برقم « ٢٢٨٠ » .

فالمؤمن يكفر الله عنه سيئاته في الدنيا ، وأما أحسن أعماله يدخرها له في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (١) .

أما الكافر يعطيه الله في الدنيا بأحسن أعماله ، ويدخر له في الآخرة أسوأ أعماله ، قال تعالى : ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢) .

وليس معنى ذلك أن المؤمن بهذه البلايا يكون في شقاء ، بل العكس لأن سعادته تتمثل في الرضاء بقضاء الله وقدره وعلمه بما عند الله من ثواب فهو يعمل للآخرة ، وهذه معنى الحياة الطيبة ، كما جاء في سورة النحل ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

---

(١) سورة العنكبوت الآية « ٧ » .
(٢) سورة فصلت الآية « ٢٧ » .

فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [1] .

وأما الكافر فسخطه وعدم رضاه بالقضاء والقدر يجعله في شقاء دائم ويتمثل ذلك في ضيق الصدر والإكتئاب النفسي ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [2]

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا

---

(١) سورة النحل الآية « ٩٧ » .
(٢) سورة طه الآية « ١٢٤ » .
(٣) سورة الشورى الآية « ٤٨ » .

يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾ [١] .

وليس معنى ذلك أيضاً أن الله لا يعطى من نعيم الدنيا للمؤمن ، بل يعطى لمن يشاء، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) ﴾ [٢] .

وقال ﷺ : « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسناته ما عمل بها لله فى الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها » [٣] .

وقال ﷺ : « نعم المال الصالح للرجل

---

(١) سورة الأنعام الآية « ١٢٥ » .
(٢) سورة الطلاق الآيات « ٢ ، ٣ » .
(٣) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٨٠٨ » .

الصـالـح » [1] .

إلا أن مشيئة الله عز وجل أن يكون الناس مختلفين فى درجات الغنى والفقر والصحة والجاه وذلك ليبتليهم بما آتاهم .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [2] .

وكذلك لحاجة كل منهم للآخر ، فالفقير فى حاجة إلى مال الغنى ، والغنى فى حاجة لمساعدة الفقير له ، قال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ١٩٧/٤ » .

(٢) سورة الأنعام الآية « ١٦٥ » .

يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1] .

والله ينصر المؤمنون ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾[2] إلا إنه إذا تساوى المسلمون والكافرون فى المعصية نصر الله الكافرين على المسلمين حتى يعودوا إلى الله عز وجل ويستنصروه بالطاعة ، وابتلاء ربنا عز وجل بالحسنات والسيئات لعل المسيء يرجع إلى الله ، قال تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[3] وكذلك ليظهر صدق الإيمان وكذبه قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

---

(١) سورة الزخرف الآية ﴿ ٣٢ ﴾ .
(٢) سورة غافر الآية ﴿ ٥١ ﴾ .
(٣) سورة الأعراف الآية ﴿ ١٦٨ ﴾ .

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [1] .

القدر والدعاء :

رغم أن قدر الإنسان كتب عليه قبل أن يولد فى اللوح المحفوظ إلا أن الدعاء يرد القدر أو هو من القدر .

قال ﷺ : « لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر » [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [3] .

فقد سمى الله الدعاء عباده وأنه يغضب على من لا يدعوه .

---

(١) سورة العنكبوت الآيات « ٢ ، ٣ » .

(٢) حديث ضعيف : أخرجه الترمذى « ٢١٣٩ » والطحاوى « ١٦٩/٤ » فى سنده محمد بن حميدا بن حبان الرازى التميمى .

(٣) سورة غافر الآية « ٦٠ » .

وقال ﷺ : « الدعاء مخ العبادة »[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[3] .

قال ﷺ : « لا يغني حذر من قدر ، وإن الدعاء لينفع مما نزل ، ومما لم ينزل ، فما نزل يدفعه ومما لم ينزل يرفعه ، وإن البلاء لينزل وإن الدعاء ليصعد فيعتلجان إلى يوم القيامة »[4] . [أى يتدافعان] .

---

(١) حديث ضعيف : انفرد به الترمذى « ٣٣٧١ » وفى إسناده ابن لهيعة ، ولكن من حديث النعمان ابن بشير بلفظ « الدعاء هو العبادة » فصحيح، أخرجه الترمذى « ٣٣٧٢ » وابن ماجة «٣٨٢٨».

(٢) سورة البقرة الآية « ١٨٦ » .

(٣) سورة الأعراف الآية « ٥٥ » .

(٤) حديث حسن : صحيح الجامع رقم « ٧٧٣٩ » والمشكاة برقم « ٢٢٣٤ » .

فالدعاء يعنى ذل العبد وحاجته إلى ربه ، وخاصة إذا كان يتضرع ، ولذا سمى عبادة لأنه إقرار بعبودية الإنسان لربه وأنه بيده الأمر كله ، والمؤمن إذا دعا ربه لابد وأن يرجع بشيء .

قال ﷺ : « **ما من مسلم يدعو ربه بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما يعجل له فى الدنيا دعوته ، واما يدخرها له فى الآخرة ، واما يصرف عنه عن السوء مثلها** ، قالوا : إذاً نكثر ، قال : **الله أكثر** » [1] .

فإذا أحب الله العبد الحب كله أخرَ له الدعاء للآخرة حتى يحميه من الدنيا ، قال ﷺ عن رب العزة : « **إن من عبادى من إن سألنى الجنة بحذافيرها أعطيته إياها ، وان سألنى جراب سوط لم أعطه ، ليس ذلك هوان منه**

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ١٨/٣ » .

عليّ، ولكن حتى أحميه من الدنيا كما يحمى الراعي غنمه من مراعي السوء » .

ويستجيب الله للكافر كما يستجيب للمؤمن إلا أنه يعطيه فى الدنيا فقط ، ولا يدخر له منها شيئاً فى الآخرة ، ويظن الكافر أن الله استجاب له لحبه ، وهذا من الإملاء كما سبق أن أوضحنا ، كما أن الله يستجيب له حتى لا يسمع صوته ، أما المؤمن يدخر له الدعوات لأنه يحب أن يسمع صوته .

قال ﷺ : « إن الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعه » .

إلا أن لإجابة الدعاء شروط :

١ – أن يدعو المؤمن بما ينفعه فى الدنيا والآخرة ، ولا يدعو بإثم أو قطيعة رحم وأن يعمم فى الدعاء ، ولا يدعو بما يضره يأساً وقنوطاً من رحمة الله عز وجل ، كأن يدعو

على ماله أو ولده ، ولكن يدعو لهم بالهداية .

قال ﷺ : « لا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم أن تكون ساعة إجابة » [1] .

٢ – أن يدعو الله وهو موقن بالإجابة ، وأن الله على كل شيء قدير ، وألا يستعجل وأن يلح فى الدعاء .

قال ﷺ : « ادعوا ربكم وأنتم موقنون بالإجابة ، فإن الله لا يسمع من قلب لاهٍ – يعنى مشغول بهمّ الدنيا » [2] .

٣ – أن يكون مطعمه حلال ، قال ﷺ لسعد بن أبى وقاص : « يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » .

---

(١) حديث صحيح : ونصه : « لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجاب لكم » ، والحديث عند ابن حبان برقم « ٢٤١١ » وصحيح الجامع برقم « ٧٢٦٧ » .

(٢) حديث حسن : أخرجه الترمذى « ٣٤٧٩ » ، وقال الألبانى : حسن « ٢٧٦٦ » .

٤ – أن يبدأ بالحمد والاستغفار والتوبة والصلاة على النبى ﷺ ويختمه كذلك بهما .

٥ – أن يتحين الأوقات التى يستجاب فيها ، مثل ليلة القدر ، والثلث الأخير من الليل ، وعقب الصلاة المكتوبة ، وبين الآذان والإقامة ، وعند شرب ماء زمزم وفى السجود ، وقال ﷺ : « **ينزل ربكم فى الثلث الآخر من الليل إلى السماء الأول فيقول : هل من داع فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له إلى أن يطلع الفجر** » [1] ، وقال ﷺ : « **لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة** » [2] .

٦ – المداومة على الطاعات والإكثار من النوافل .

٧ – المداومة على الدعاء فى السراء والضراء ، قال ﷺ : « **من سرّه أن يستجيب الله له فى الشدائد**

---

(١) حديث حسن : أخرجه مسلم « ٧٥٨ » .
(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ١١٩/٣ » وأبو داود « ٥٢١ » والترمذى « ٢١٢ » .

فليكثر الدعاء فى الرخاء » [1] ، ولا يكن كالذى قال الله تعالى فيهم ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) ﴾ [2] ، كذلك لا يترك الدعاء يأساً من رحمة الله حتى لا يكون كالذين قال الله فيهم : ﴿ لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) ﴾ [3] .

٨ – أن تدعو الله بأسمائه الحسنى كما أمرنا ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾ [4] ، وهناك بعض الأسماء إذا دعا العبد بها كانت الإجابة – إن شاء الله – مثل : ياذا الجلال والإكرام ، ياحى ياقيوم ، يا أرحم الراحمين . ثلاثاً .

---

(١) حديث حسن : أخرجه الترمذى « ٣٣٨٢ » وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع « ٦٢٩٠ » .

(٢) سورة فصلت الآية « ٥١ » .

(٣) سورة فصلت الآية « ٤٩ » .

(٤) سورة الأعراف الآية « ١٨٠ » .

٩ – أن يكون الدعاء بتضرع وذل ومسكنة ، دعاء عبدذليل من سيده صاحب الأفضال والنعم ، وأن يكون فى السر ، فالله سميع عليم ، لذا كان أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد .

قال ﷺ: « أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد فأكثروا فيه الدعاء »[1].

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) ﴾[2] .

فمن صفات المؤمنين أنهم دائمى التضرع إلى الله رغباً فيما عنده ورهباً من عذابه ، قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٤٨٢ » .
(٢) سورة الأعراف الآية « ٢٠٥ » .

الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [1] .

ومن صفات الكافرين أنهم يستكبرون على الله ولا يدعونه ولا يتضرعون إليه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) ﴾ [2] .

القدر والاستغفار :

الاستغفار والتوبة أرجى عند الله من الدعاء، لأن الدعاء لا يستجيبه الله عز وجل من عبد عاصٍ ، وإن استجاب له كان أملاء وليس حباً فيه ، لذا كان لابد من التوبة والاستغفار قبل الدعاء .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) ﴾ [3] .

وقال ﷺ : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل

---

(١) سورة الأنبياء الآية « ٩٠ » .
(٢) سورة المؤمنون الآية « ٧٦ » .
(٣) سورة الأنفال الآية « ٣٣ » .